الدكتور حسين قديح

الحمّامات العامة في لبنان

تمهيد:

يؤكد بعض المؤرخين القدامى أن الفراعنة هم أول من أدخل الحمّامات العامة على المجتمع البشري، وهناك مصادر أخرى تنسب إنشاء الحمّامات إلى العصر الروماني في إيطاليا في القرن الثاني عشر قبل الميلاد. أما في البلاد العربية وبلاد الشام، فكان ظهور أول حمّام عمومي في العصر الفاطمي، وإنتشرت هذه الظاهرة في العهد العثماني.

وقد عرفت المدن اللبنانية الحمّامات العامة وكانت حاجة ضرورية للإنسان، وذلك لشح الماء والكهرباء يومها. وقد إقتصرت في بادئ الأمر على أنها مجموعة من الأحواض الصغيرة فيها ماء بارد وساخن وبعض الأدوات والدهانات للمساج والتدليك، كما أنها كانت مجانية للصغار والكبار. فهي أهم مكان بعد المسجد. ويشير إنتشارها إلى رقي المجتمع وتقدمه وإزدهاره وتطور العمران فيه، حيث أصبحت مظهراً من مظاهر الترف والتنعم المقتصر على فئة معينة من الناس (الأغنياء). سنوزع بحثنا على العناوين التالية:

- تعريف الحمّام وفوائده.
- أقسام الحمّام.
- وصف "لامرتين" للحمّام.
- حمّامات العاصمة بيروت.
- الحمّامات في مدينة صيدا.
- الحمّامات في مدينة طرابلس.

أولاً: تعريف الحمّام وفوائده:

هو مكان يقصده الناس للإستحمام، ومنه الحمّام المغربي، الروماني، الفلندي (السونا)، الروسي، التركي... إزدهرت ظاهرة الحمّامات خلال حكم المماليك (1250م. – 1517م.)، ثم إنتشرت عند الأتراك وعمدوا عالى تطويرها ونشرها في المنطقة.

هذا وقد عرف العرب الحمّامات في مدنهم الحضرية، إلّا أن الحمّامات وصلت إلى قمّة روعتها وجمالها في العصور الأموية والفاطمية والعباسية؛ حيث إنتشرت في المدن، وتفنّنوا بهندستها وإتقانها.

لقد قامت الحمّامات العامة لحاجة النظافة والطهارة، طبقاً للشريعة الإسلامية، بسبب قلة المياه الواصلة إلى البيوت. وكان الحمّام في السابق الذي يعمل على الحطب والسماد الحيواني ضرورة للسكان الفقراء، وكان النهار مخصصاً للنساء والأولاد دون السابعة إن كانوا ذكوراً، والمساء للرجال.

من المؤكد أن للماء الساخن والبخار آثاراً إيجابية على جسم الإنسان؛ فقد يوسّع مسام الجلد ويطهرها، ويقوّ ي الأوعية الدموية وجدرانها الداخلية، وله آثار طيبة على الجهاز العصبي، وتخفيف أوجاع الظهر، إضافة إلى أنه يريح الجسم وينشطه ويزيل التوترات أو يخففها.. وهو وسيلة للنظافة وتخفيف آلام الجسم.

ثانياً: أقسام الحمّام[1]:

تتكون الحمّامات العامة من بناء يحتوي على عدة قاعات وغرف تتوسطها بحرات يتدفق الماء الساخن من سخانات وغلايات خاصة للماء. هناك بعض الحمّامات العامة يردها الماء الساخن من عيون طبيعية تنبع من الأرض، وفي كثير من الأحيان تكون تلك المياه معدنية أو كبريتية ذات صفات وطاقات علاجية.

أشهر الحمّامات ذات المياه المعدنية الطبيعية: مياه الحمة في الجولان، مياه وحمّامات بورصة في تركيا، مياه حمّام العليل في الموصل – العراق، مياه البحر الميّت الأردن والضفة الغربية في فلسطين، مياه حمّامات قربص الشمال الشرقي لتونس، مياه الحامة الجنوب الشرقي لتونس، مياه حمّام المسخوطين في الجزائر.

يتألف الحمّام من ثلاثة أقسام وهي:

- القسم الأول: وهو القسم البراني أو الخارجي، أو ما يسمى بالقسم البارد، وفيه يقوم الزبائن بخلع ملابسهم وإرتدائها عند الدخول والخروج. يتكون هذا القسم من باحة تتوسطها بركة ماء ومسقوفة

[1] الموقع الإلكتروني: حمّام (مغتسل) www.m.wikipidia.org

بقبّة محاطة بالنوافذ، وفي كافة الجوانب توجد مساطب (مقاعد حجرية) مفروشة بالأرائك والمساند ومجهزة بالمناشف، يستريح على تلك المساطب المستحمون بعد إنتهائهم وقبل مغادرتهم.

- القسم الثاني: أو القسم الوسطاني، هو القسم معتدل الحرارة من الحمّام، مسقوف بقباب (جمع قبّة) تحتوي على فتحات زجاجية تتيح لضوء الشمس الدخول، وعلى الجوانب توجد مساطب يستريح عليها المستحمون خلال فترات الإستحمام. كما يوجد داخله مقصورة النورة (مكان المراحيض وإزالة الشعر).
- القسم الثالث: وهو القسم الجواني أو الداخلي الحار من الحمّام. تتم إنارة هذا المكان عبر نور الشمس عن طريق قطع زجاجية خاصة مزروعة بكثافة في السقف المكوّر كالقبّة. يتألف من غرف للسونا والتبليل. يتكون من إيوانين متقابلين يتموضعان على طرفي بيت النار، وضمن كل إيوان يوجد جرن أو أكثر من الماء الساخن الواصل من بيت النار عبر شبكة تجري تحت أرض الحمّام. كما يتفرع عن كل من الإيوانين غرف أو مقاصير خاصة تحتوي كل منها على الجرن الخاص بها. أما التسخين فيتم بواسطة مرجل نحاسي (قدر من النحاس يغلى فيه الماء) يستوعب خمسة عشرة برميلاً من المياه يوضع في غرفة عند طرف الحمّام. وكان يسخّن قديماً بالحطب وفضلات المناشر قبل أن تدخل التعديلات عليه ليسخّن بواسطة الشوفاج الحديث. ويمتد من المرجل قسطلان؛ واحد للمياه الساخنة وآخر للبخار وتوزع على الغرف الداخلية.

وفي تفاصيل عملية الإستحمام: يمرّ الزبون عادة بغرفة البخار أولاً، حيث تصل الحرارة أحياناً إلى 80 درجة مئوية، فيقضي فيها حوالي عشر دقائق، ثم ينتقل بعدها إلى التكييس فالتليف، ثم التدليك الذي يتم وفقاً للقواعد العربية القديمة. وبعد خروج المستحم من القسم الداخلي يتوجه إلى القسم الوسطاني وذلك بعد أن يقوم بتبريد جسمه قليلاً، ثم يتوجه إلى القسم الخارجي حيث يلف جسده بفوطة من القطن ويجلس في الصالون الداخلي ليبرد جسمه قليلاً قبل أن ينتقل إلى البهو الرئيسي، حيث يتربّع على أريكة ويأخذ فنجاناً من القهوة أو الشاي.

وقبل أن يغادر الحمّام يخلع قطع القماش الست التي يكون قد لفّها حول جسده حسب الأصول: قطعتان لليدين، وقطعتان للرجلين تأتي فوقها فوطة حريرية تدفئ المعدة. وأخيراً يرتدي ثيابه ويغادر.

ثالثاً: وصف "لامرتين" للحمّام:

لقد وصف الأديب الفرنسي "لامرتين"، الذي عاش في لبنان في القرن الثامن عشر ردحاً من الزمن، الحمّامات العامة في لبنان. كما دعيت زوجته ذات يوم لحضور حفلة تحميم عروس في بيروت.

وعن حمّامات بيروت كتب الوصف التالي: "الحمّامات العامة مكان يمنع دخول الرجال إليه إلّا في ساعات معينة من النهار لتبقى مخصصة للنساء، وإذا أتفق أن أميرة عروساً أرادت الإستحمام قبل عرسها ببضعة أيام وفقاً للتقاليد، خصص الحمّام طول النهار الذي تختاره. وغرف هذه الحمامات ضعيفة النور، لا تضاء سوى بنور ضئيل يرشح إليها من قباب فيها فتحات صغيرة مستديرة عليها كرات من الزجاج ملون، وهي مبلطة بالرخام صفوفاً مختلفة الألوان، مرصوفة بفن وإتقان، وجدرانها مكسوة بالرخام والفسيفساء، أو منقوشة في شكل بارز مربع مستدير أو في أشكال عربية الطراز، وحرارة الغرف تدريجية، فالغرفة الأولى في حرارة الهواء الطلق، والثانية فاترة ثم تزداد هذه الحرارة درجات درجات حتى الغرفة الأخيرة، حيث البخار الغالي ينبعث من الأحواض ويملأ في جو الغرفة بحرارة تكاد تكون خانقة ولا توجد أحواض محفورة في صحون الغرف، وإنما توجد حنفيات تجري متسلسلة فتصب على البلاط ماء بمقدار نصف إصبع في مجار دقيقة يتجدد دائماً فيها ولا يتم الإستحمام بالشرق بالتغطيس، إنما هو بدفق الماء الساخن وفقاً متوالياً وبتأثير حرارة الماء في الأبدان".

رابعاً: حمّامات العاصمة بيروت[2]:

عرفت العاصمة بيروت الحمّامات العامة منذ عهد طويل، حتى قيل أنها كانت منتشرة في العهدين اليوناني والروماني. إلّا أن المؤكد أنها كانت في العهد العثماني وأيام الإنتداب الفرنسي.

لقد كانت العائلات تقصد هذه الحمّامات للإستحمام في مناسبات خاصة، ولقضاء نهار كنزهة، حيث يحملون لوازمهم من المناشف والصابون والليفة والحذاء وغيرها، كما يتزودون بالطعام.

وصف الرحالة الفرنسي "دارفيو" عام 1660م. حمّامات بيروت بأنها نظيفة وأرضها من الرخام مختلف الألوان، والقاعة الوسطى مغطاة بقبّة فيها عدة ثقوب مدورة ronde مغطاة بأجراس من الزجاج تنير المكان. ومن هذه القاعة يدخل إلى كابينات cabinet معقودة ومضاءة بذات الطريقة.

إنتشر في بيروت عدد كبير من الحمّامات، وسنذكر منها ما يلي:

- حمّام النزهة التركي: قيل مكانه في زقاق البلاط المشرفة على وسط بيروت، وقيل على البسطة، حيث كانت جنبه سينما جمال، ويؤكد زكريا الغول (عضو جمعية تراث بيروت) أنه كان في محلة الباشورة وإنتقل مكانه إلى محلة زقاق البلاط ويطل على جسر فؤاد شهاب ويحمل إسم حمّام النزهة الجديد. تعود

[2] على القارئ العودة إلى ما يلي: قبات الحمّامات ومحتويات في بيروت الإسلامية، دين ودنيا، جريدة اللواء، على الموقع الإلكتروني: www.m.facebook.com. ، وتراث بيروت، على الموقع الإلكتروني: www.aliwaa.com.lb

ملكيته إلى عائلة بيرقدار التركية الأصل، حيث رمّم عام 1920م. من قبل الحاج أحمد بيرقدار. ولا يزال يستقبل زواره لغاية تاريخه، ويعتبر الحمّام القديم الوحيد المتبقي في بيروت، إذ صنّف من الأماكن الأثرية والسياحية في لبنان. تتوسط ردهته بركة عثمانية مثمنة الأضلاع من الرخام الملون، ويتصدرها شلال ماء رقراق، وتزينها لوحات الآيات القرآنية، والأقوال المأثورة. وهناك خزانتان تحتويان على أدوات الحمّام ولوازمه، واحدة للأثواب والبشاكير (المناشف) والملاءات والفوط، والأخرى لأنواع الصابون المعطر، المصنع من زيت الزيتون والقطرون (مادة قلوية، ويقال عنها: أطرون)، بالإضافة إلى روائح المسك والعنبر والنعناع وزيوت التدليك، وبالقرب من ردهة الإستقبال توجد غرفة للإستراحة (البراني)، على جنباتها المقاعد الحجرية المغطاة بالطراحات الحريرية صيفاً، وبصوف الأغنام شتاءً، وتقبع القباقيب التي سينتعلها المستحم في زاوية من المدخل.

- حمّام فخر الدين أو حمّام السرايا: عرف بالحمّام الكبير، ويسمى أيضاً حمّام إبن سيفا. يقع قرب جامع السرايا. بني عام 1632م. ويقول البعض أنه حمّام سيف الدين تنكز وقد رمّمه الأمير فخر الدين المعني الكبير. مبلّط بالرخام الملون، يحتوي على شاذروان (حوض) في داخله، يحوط بجوانبه الأربعة أربعة إيوانات، كل إيوان بقبو وقوس، بركة ماء مثمنة، ويشتمل على قبّة مرتفعة على عواميد، يحوط بتلك القبّة أربعة أقبية (جمع قبو، فيه عقد من حجارة) على أسلوب جامع الأمير عساف، غير أن الجامع يزيد عليه في القباب.
- حمّام البلدية أو حمّام الجربانين: كان على مدخل شارع القاضي الشمالي في محلة الباشورة، بين برج أبي حيدر والبسطة التحتا، وكان في نفس الشارع مدرسة السيد نور دريان، وفي نفس الشارع أيضاً درج يؤدي إلى شارع الأرزوني ومنه إلى البسطة التحتا (الجامع). سمي بحمّام الجربانين بسبب إنتشار الأوبئة والأمراض خلال الحرب العالمية الأولى وبالأخص الجرب. توقف عن العمل عام 1975م.
- الحمّام البلدي العام أو حمّام المقملين: أنشئ في محلة صبرا كمحجر صحي بسبب إنتشار الأمراض ومنها القمل. هدمته البلدية عام 1920م. لتقيم مكانه حمّاماً بلدياً عاماً، وقد تحوّل إلى مقر لقيادة حرس بيروت خلال الحرب اللبنانية عام 1975م.
- حمّام الدركة: أنشئ عام 1864م. إتجاه مبنى التياترو الكبير، وكان من أشهر الحمّامات وأنظفها. إستثمره في ذلك الوقت أحمد آغا حمزة سنو وشريكه إلياس سلوم.
- حمّام الأوزاعي: كان على مدخل سوق الطويلة الجنوبي، وقد أكد عبد الغني النابلسي أنه كان مهجوراً عندما زاره عام 1700م. ويقول أن هذا الحمّام كان الحمّام الخاص بالإمام الأوزاعي.

- حمّام القيشاني الصغير: كان مكانه مكان سينما كابيتول. زاره عبد الغني عماد عام 1700م. وقال أنه كان مهجوراً.
- حمّام الزهرية: أحد الحمّامات القديمة في العاصمة بيروت. كان في ساحة البرج، وتحوّل قبل عام 1976 إلى سوق لبيع الأدوات الكهربائية.
- حمّام الزهارية: أو حمّام زهرة سوريا. بني عام 1886م. من قبل آل الزّهار. هدم عندما تم شق أوتوستراد بشارة الخوري.
- حمّام الذهب: أنشئ في شارع رياض الصلح. شيّد مكانه مبنى وزارة البريد والبرق والهاتف.
- حمّام البسطة: أزيل أواخر الستينات.
- حمّام الدبية: تحوّل إلى مسرح في منطقة العازارية.
- حمّام مرعش: كان في محلة برج حمود.
- حمّام باب الحارة: أنشئ حمام تركي جديد بإسم باب الحارة في منطقة صغيرة بالضاحية الجنوبية (الشياح). وشيّد على الطريقة التقليدية العثمانية الدمشقية. ولا يزال يستقبل الزبائن لغاية تاريخه. تدخل بوابة خشبية كبيرة لتصل إلى ساحة مرصوفة بالحجارة، سقفها من القناطر الحجرية. تتوسط ديوانية، تدعى ديوانية العقيد الزعيم، بركة شامية مستديرة ومعلّق على جدرانها سيوف عربية وأسلحة قديمة وخيزرانة القبضاي معتز، وتحيطها دكاكين وحوانيت وعربات.

خامساً: حمّامات مدينة صيدا:

كان في مدينة صيدا خمسة حمّامات وهي: حمّام الشيخ، حمّام السوق أو ما عرف بحمّام السبع بنيّات، حمّام المير (الزقليط)، حمّام الورد، الحمّام الجديد. وقد دمر طيران العدو الإسرائيلي حمّام المير عام 1982م. وأغلق حمّام الورد عام 1981م. كما تحوّل الحمّام الجديد إلى منشرة ومن ثم إلى مركز سياحي عام 2019م. ، وحمّام السبع بنيّات تحوّل إلى مخبز.

سنتحدث قليلاً عن الحمّامات الخمسة الموجودة في مدينة صيدا، وذلك كما يأتي:

- حمّام الشيخ: يقع مقابل مسجد الكيخيا (جامع كتخدا) داخل صيدا القديمة. يتجاوز عمره 300 سنة. يعود بناؤه إلى ما قبل عام 1105هـ (عام 1693م. – 1694م.). لأن عبد الغني النابلسي[3] ذكره في كتابه عندما زار مدينة صيدا. كما أننا لم نعثر على مستند تاريخي يذكر السنة التي شيّد فيها الحمام.

[3] عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الدمشقي الحنفي (1050هـ - 1143هـ/1641م. – 1731م.)، شاعر وعالم بالدين والأدب ورحالة مكثر من التصنيف. ولد ونشأ وتصوف في دمشق. قضى سبع سنوات من عمره في دراسة كتابات "التجارب الروحية" لفقهاء الصوفية. من مؤلفاته: مقتضى الشهادتين، إيضاح المقصود من وحدة الوجود، علم الملاحة في علم الفلاحة...

يمتاز الحمّام بسعته وسعة غرف الإستحمام فيه، ومغاطسه الجميلة المبلّطة بالبلاط الناري. لا يزال لغاية تاريخه الحمّام العمومي الوحيد الذي يعمل في مدينة صيدا.

من ساحة ظهر المير، وعلى بعد دقائق معدودات تصل إلى الحمّام. تدخل باباً صغيراً يقودك إلى باب آخر وضعت عليه يافطة تعلن أن هناك من في داخل المكان (نحن في الداخل)، حيث بهو الحمّام والنافورة في الوسط التي توقفت عن العمل وتزنرت بالنراجيل، ومنها تصعد درجات معدودات لتصل إلى مكان الجلوس والإسترخاء ما قبل الحمّام وبعده. ومن هناك تعود أدراجك إلى البهو مجدداً وهذه المرة بعد أن تنتعل القبقاب الشهير، ومع صوت دقاته تدخل باباً خشبياً إلى غرفة تغيير الملابس ومنها إلى بقية الغرف السبع، حيث الإستلقاء على الرخام الساخن بما يعرف ببيت النار تحت القبّة التي يعلوها ويتداخل فيها الزجاج الملون لدخول الضوء، ثم تنتقل إلى مرحلتي التكبيس والمساج، يليها إستخدام كاسات الألمينيوم للإستحمام بالمياه الساخنة، وبعد ذلك تعود إلى البهو الرئيسي.

يقول مسؤول حمام الشيخ، خليل الحلبي، "أصبحت زيارة الحمامات العمومية برستيج لبعض الناس بعد أن كانت ضرورية. والبعض يحجز الحمام لقضاء وقت مع أحد قادم وخصوصاً أيام رمضان".

- حمّام السوق أو حمّام السبع بنيّات[4]: حمّام شعبي، كان يقع في منطقة الأسواق التجارية بالقرب من جامع بطاح داخل مدينة صيدا القديمة في حارة الكشك. كما عرف أيضاً بإسم حمّام السبع بنيّات لوجود سبع صنابير للمياه في داخله. ويقال أن سبب التسمية بذلك أيضاً هو إعتقاد عامة الناس بوجود سبع جنيّات يسكنّ ذلك الحمّام. ويبدو الطراز التركي واضحاً على بنائه. سقفه مرتفع جداً، ويتكون من فناء واسع، وعدة غرف للإستحمام. حوّل إلى مخبز، ولا يزال لغاية تاريخه (كان يديره المرحوم حسن مستو).
- حمّام المير (الزقليط)[5]: المعروف بالحمّام البراني. يعود إنشاء هذا الحمّام إلى عهد الأمير فخر الدين الثاني المعني الكبير. يمتاز بجماله وروعته وزخارفه الجميلة. كان يقع إلى الجهة الغربية من خان الإفرنج، وقد دمّر وتهدّم أثناء الإحتلال الإسرائيلي عام 1982م. وضعه النابلسي في كتابه "الرحلة النابلسية" فقال: "حمّام الأمير وهو مطل على البحر، كبير، ذو مياه غزيرة، مبلّط بالرخام، وفي داخله بركة ماء كبيرة عالية، مثمنة من رخام أبيض، وهي مشيدة من ستة عشر حجراً، كل حجر طوله نحو قامة، والبلاط الذي حول هذه البركة على الأرض يشتمل على أربع قطع من الرخام، كل قطعة من جهة يبلغ مقدارها نحواً من خمسة أذرع".

[4] حمّام السبع بنيات، الموقع الإلكتروني: www.saidagate.com
[5] حمّام المير (الزمليط)، الموقع الإلكتروني: www.saidagate.com

- حمّام الورد: يقع قرب المدخل الشمالي للمسجد العمري الكبير داخل صيدا القديمة. يعود بناؤه إلى عام 1720م. بناه آل حمود على طراز المعني، وفيه زخارف جميلة. يمتاز بقاعته الواسعة الجميلة، ويمزج بين العمارة التركية والفن الإيطالي. وهو من الطراز المعماري العثماني التقليدي، يتألف من مدخل يؤدي إلى صالة كبيرة تضم بركة مركزية، يستعد فيها المستحمون للدخول إلى الغرف المخصصة للإستحمام. وهو مغلق منذ عام 1981م. وقد أعيد فتحه، حيث خضع في العام 2020م. لعملية تأهيل وترميم لإستخدامه كمعلم سياحي فقط، وفشل هذا المشروع بسبب خلاف المالكين.
- الحمّام الجديد[6]: يقع في محلة صيدا القديمة، ومساحته 600 متراً مربعاً. عمره أكثر من ثلاثة قرون، حيث يعود بناؤه إلى عام 1133هـ (1720م. – 1721م.). شيّد خلال فترة الحكم العثماني من قبل مصطفى حمود. كان يتألف من قاعة إستقبال تتوسطها نافورة مياه رخامية، يحيط بها مصطبات للإنتظار تؤدي إلى ثماني غرف كانت مخصصة للإستحمام. يوجد فيه بقايا زخارف جميلة. أوقف العمل فيه خلال أربعينيات القرن الماضي (العشرين)، وقد إستخدم بعدها مشغلاً لإصلاح الأدوات الكهربائية. وفي العام 2019م.، تم إعادة ترميمه وتأهيله وإستثماره من قبل شركة REVIVAL حيث جعلته مزاراً وصالة لعرض الرسوم.

سادساً: حمّامات مدينة طرابلس:

تعد مدينة طرابلس إحدى أهم المدن التاريخية ولها مكانتها في الوسط العمراني القديم. وقد إهتم المهندسون في تشييد الآثارات والقلاع والجوامع والكنائس فيها، وكان للحمّامات العامة حصّة من الإهتمام والإنجازات الجميلة الراقية، فقد تضمن حمّامات تراثية، دمّر بعضها ومنها لا يزال صامداً حتى اليوم. وأهم هذه الحمّامات التي كانت في مدينة طرابلس هي:

- حمّام العبد: يقع في محلة الرمانة داخل سوق الصاغة، بالقرب من خان الصابون. مساحته 500 متراً مربعاً. شيّد عام 1620م. رمّم في العام 1920م. من قبل الحاج أحمد بيرقدار (صاحب حمّام النزهة في بيروت). وهو الحمّام الوحيد الذي لا يزال يعمل لغاية تاريخه. وهو نموذج لعمارة الحمّامات التي إشتهرت في العصرين المملوكي والعثماني بقببها وقناطرها وسعتها ونظافتها. يعبق الحمّام بالدفء والبخار وروائح الصابون من الداخل إلى الدار التي تتوسطها بركة مياه لها ثمانية أضلع، والدار مبلّطة بالرخام الأبيض، وعند كل ضلع درجة تؤدي إلى مقعد طويل مغطى بالوسائد والأقمشة الشرقية الطابع. وقد وضعت على إحدى الدرجات عشرات القباقيب الخشبية التي يستخدمها الزبائن. وتعلو الدار قبّة

[6] الحمّام الجديد، الموقع الإلكتروني: www.saidagate.com

إرتفاعها ثمانية أمتار على الأقل، وتنتهي عند أعلاها بقبّة أصغر تحوطها شبابيك الزجاج التي تشرع صيفاً للتهوئة. وتتدلى من السقف عدة مصابيح قديمة، كما علقت على الجدران أدوات أثرية وتحف نحاسية ولوحات تحمل آيات قرآنية. وإلى اليمين إمتداد الحمّام على شكل قبو منخفض السطح متطاول يخصص لإسترخاء الزبائن، وتستخدم زاوية منه مطبخاً لعمال يعدون فيه طلبات الزبائن من شاي أو قهوة أو زهورات أو نراجيل... ويتجمع المستحمون في الدار يخضعون للسونا والتدليك والمساج.

- حمّام فخر الدين: هو أول حمّام بناه المماليك في مدينة طرابلس وأكبرها وأهمها. الدخول من بوابته يفضي إلى صالة واسعة مصلّبة الشكل وفي وسطها نافورة متعددة الزوايا، وتعلو هذه الصالة قبّة فيها قمريات للإضاءة. وكل هذه العناصر تميز الغرفة المسماة بالمشلح حيث يتم خلع الثياب فيها، إذ يترك الزبون ثيابه في خزانات. كما يمكنه ترك قبقابه في كوة صغيرة مصطفة تحت المقاعد، وبعد الحمّام يرتاح على أرائك. ومن المشلح يكون الدخول إلى الأقسام الثلاثة: البارد – الفاتر – الساخن، التي تصل بينها ممرات فيها أنابيب لسحب الدخان. وكانت الغرفة الساخنة تسخن بأنابيب بخار حارة جداً تمر في الجدران وتخرج من الفتحات. ولتفادي أي خسارة، بنى المماليك الجدران سميكة جداً من دون أن تكون فيها أي نافذة. أما الإضاءة فكانت تتم بواسطة قعر القناني الزجاجية الملونة التي وضعت في القمريات، ما يعطي سحراً مميزاً.
- حمّام عز الدين: يقع في محلة باب الحديد، على الطرف الشرقي لسوق النحاسين. بناه الأمير عز الدين أيبك الموصلي المنصوري بين عامي 1294م. و1298م.، ويعتبر من أقدم وأكبر الحمّامات المملوكية في طرابلس. مدخله يفضي إلى صالة مرتفعة السقف، تعلوها قبّة ونوافذ للإنارة، وفي الوسط بركة مياه ونافورة، وعلى الجوانب مقاعد حجرية تحتها فتحات لوضع الأغراض. إستمر في العمل حتى الثمانينات من القرن العشرين، وأصبح مهجوراً وبحالة سيئة وتوقف عن العمل. أعيد ترميمه حديثاً ليصبح مركزاً سياحياً.
- حمّام النوري المملوكي: يقع عند مدخل سوق الصاغة، بالقرب من الجامع المنصوري الكبير، بناه الأمير سنجر عبدالله النوري بين عامي 1305م. و1310م.، وإليه ينسب الحي أو المحلة، فعرف بحي النوري. فقد هذا الحمّام وظيفته بسبب وضعه السيء، حيث توقف عن العمل في سبعينيات القرن العشرين.
- الحمّام الجديد: أو القراقيش. يقع في محلة الحدادين، عند الطرف الجنوبي للمدينة لجهة باب الرمل. وهو من الطراز العثماني، بناه أسعد باشا العظم عام 1740م. مساحته 600 متراً مربعاً، هو أجمل

وأفخم الحمّامات في لبنان وأكبرها حجماً. تزين بوابته سلسلة حجرية متداخلة الحلقات، وهي كلها حجر واحد. رمم خلال السنوات الماضية ولا يزال مقفلاً لهذه الغاية.

- حمّام الدودار: وهو من أجمل حمّامات المدينة. بني عام 1700م. لا تزال بقاياه موجودة حتى الآن ولكنه مهجور.
- حمّام الحاجب: بني بين عامي 1322م. و1931م. لا تزال آثاره ظاهرة على الضفة الشرقية لنهر أبو علي.
- حمّام العظم: أو الحمّام الكبير، يقع تحت عقد الجامع الكبير في مدينة المينا/طرابلس.
- حمّام الطوافية: الذي لم يبقَ منه شيئاً.
- حمّام النزهة: أتى عليه طوفان نهر أبو علي عام 1955م.
- حمّام القاضي (القرمي): بني عام 1340م. وأزيل لاحقاً.
- حمّام العطار: لم يبقَ منه سوى واجهته الغربية.

الخاتمة:

بعد هذا العرض السريع للحمّامات العامة في لبنان، نؤكد أن هذا المظهر الحضاري يدل على الإهتمام بتأمين ضرورة من ضرورات الحياة، وأن المجتمع سائر في طريق التقدم والإزدهار العمراني، الذي يشير إلى جمال البناء وحسن هندسته وزخرفته والتفنن بمقتنياته، وذلك لراحة رواد الحمّام وجذبهم، مما أسس لقطاع سياحي متطور إرتكز عليه إقتصاد لبنان فيما بعد.

مراجع:

- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الإسلامية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 128، آب 1988، ص 246-247.
- عبد الغني بن إسماعيل النابلسي، التحفة النابلسية في الرحلة الطرابلسية، حققه وقدم له هربيرت بُوسه، مطبعة المتوسط، بيروت، ط2.
- رياض دبليز، طرابلس أيام زمان، عادات وتقاليد، مطبعة الحضارة، طرابلس 1980، ص 103.
- مجلة تاريخ العرب والعالم، السنة 15، أيلول 1995، ص 154.
- محمد كامل بابا، طرابلس في التاريخ، جروس برس، طرابلس، لبنان، ط1، 1995، ص 199.

- عبد السلام عمر تدمري، تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص 286.
- حكمت بك شريف، تاريخ طرابلس الهام من أقدم أزمانها إلى هذه الأيام، دار حكمت شريف ودار الإيمان، طرابلس، لبنان، ط1، 1987، ص 176.
- حمّام (مغتسل)، الموقع الإلكتروني: www.m.wikipidia.org
- قبات الحمّامات ومحتويات في بيروت الإسلامية، دين ودنيا، جريدة اللواء، الموقع الإلكتروني: www.aliwaa.com.lb
- تراث بيروت، الموقع الإلكتروني: www.m.facebook.com .
- الحمّام الجديد، حمّام المير (الزمليط)، حمّام السبع بنيات، الموقع الإلكتروني: www.saidagate.com
- الحمامات العامة في بيروت، الفصل الأول، www.islamguiden.com
- جدران أثرية تحكي عن مدينة طرابلس، الموقع الإلكتروني: www.Aljazeera.net